

"هذه الأيادي التي يمنحها لنا الإله..."

خلال الأيام الوطنية لشبكة كاريتاس الجزائر (28-29 أبريل) التي نظمت بالجزائر العاصمة، تم عرض شريط وثائقي ممتاز حول استقبال الأطفال المعاقين والتكفل بهم من إنجاز أبرشية غرداية - الأغواط.

هذا الشريط الوثائقي بعنوان "هذه الأيادي التي يمنحها لنا الإله..." كان بمثابة ألف ندوة من فرط تأثيره على المشاركين ولقد اعترف الجميع بفضل المجموعات الستة للأخوات التابعة لأبرشية غرداية - الأغواط إزاء التحديات التي تواجهها وروح التضحية التي يتحلين بها.. قدمت الأخت مارتين نونغو، مديرة كاريتاس بأبرشية الأغواط، هذا الموضوع الذي تابعت إنجازه مع المجموعات الستة من الأخوات وأشادت بالدعم المقدم من طرف ميزيريور (Misereor) وكيندرميشنويرك (KinderMissionsWerk) منذ 5 سنوات لمشروع إعانة الأطفال المعاقين خاصة الذين يعانون من الإعاقة الحركية المخية والتوحد ومتلازمة داون.

المجموعات الستة المشاركة في مشروع "إعاقه" هي الأخوات الصغريات لقلب يسوع الأقدس (فرنسا) المتواجدة بتمنراست منذ 1999 والأخوات الفرانسيكانيات المبشرات لمريم (بولندا وفرنسا وإسبانيا) المتواجدة بعين الصفراء منذ 2006 ومجموعة سيده لاساليت (مدغشقر) المتواجدة بالمنيعه وأخوات سيده بحيرة بام (بوركينافاسو) المتواجدة بتيميمون منذ 2014 والأخوات المبشرات للطاهرة (الهند، بابوا، البرازيل) المتواجدة بحاسي مسعود منذ 2013 وأخوات الحبل بلا دنس (بوركينافاسو) المتواجدة بورقلة منذ 2016.. كل مجموعة، سواء كانت حديثة العهد بالجزائر أو وريثة لتواجد قديم، تأخذ على عاتقها حالات معقدة لأنها تواجه ليس الفقر فحسب بل أيضا نقص الإمكانيات والأحكام المسبقة الاجتماعية التي تعيق التكفل المبكر بمشاكل الإعاقة للوصول إلى نتائج أفضل.

رغم أن التكوين هو شرط مسبق أساسي للتكفل بطفل معاق، لم تتردد بعض الأخوات في الخوض في المسألة متسلحات بالإرادة والمعارف التجريبية التي اكتسبها بالممارسة والتصالح المتبادلة بين الأخوات.. إن الإعتقاد على النفس قاعدة ولقد سمح لأخوات عين الصفراء اللواتي يستقبلن المصابين بالإعاقة الحركية المخية دون غيرهن وبطيقن عليهم منهج بوبات لإعادة التأهيل بصناعة بأنفسهن جبانر الأطفال.. تحكي الأخت إيزابيل : "نحن نتابع احتياجات الأطفال وبما أنه لم نكن نملك شيئا، كان علينا إيجاد الحلول : قليل من الخيال وقليل من الإنترنت ثم نجرب.. لقد استغرق منا صناعة جبيرة الركب سنة كاملة".. الآن، تستغرق صناعة جبيرة قدم طفل يبلغ من العمر ما بين عام وعامين أربع ساعات.. إنها تجربة رائعة وعمل احترافي يساهم فيه الأولياء ماليًا بدفع ثمن العتاد فقط (1000 دج) وليس تكاليف الصناعة.

الاستعانة بالعائلات هي أمنية الجميع لأنها مفتاح نجاح أو فشل عملية التكفل بالطفل.. الأمهات يستثمرن وقتهن في المركز وفي البيت حيث أن تنقل الأخوات إلى المنازل يسمح بمتابعة الثمارين.. للأسف، هناك أمهات ينكرن أطفالهن أو يعتبرن الطفل المعاق وصمة عار يجب إخفاؤها.. الأحكام المسبقة عنيدة وتمنع اندماج بعض الأطفال في المدرسة كما هو الحال بالنسبة للمصابين بالتوحد وبالملازمة هاون.. هنا، البما تكون مساهمة السلك الطبي إيجابية حيث كثيرا ما يمنح كشوفات طبية بالمجان ويوجه الأطفال المعوزين إلى الأخوات من أجل تكفل منقذ.

يمكن أن تكون اللغة عائقا في العلاقة مع الأطفال أو مع أوليائهم لكن أخوات حاسي مسعود اللواتي يتكفلن بالمصابين بالتوحد والملازمة هاون لاحظن أن "وجود عالمة نفس جزائرية مكنت الأطفال من أن يتحسنوا بسرعة".. لقد خصصت الأخوات قاعات مختلفة حسب الذاء لأن قدرات التعلم والاستيعاب تختلف.. في مركز المنيعه، خلقت العلاقات العلاجية والحميمية وأصررا لا مثيل لها مع الأطفال الذين يرفضون الآن علنا تغيير الإطار التربوي أو المؤسسة التربوية أو يعبرون عن رفضهم بطريقتهم الخاصة.

في نهاية طريق الاختبار، هناك السعادة التي يخلقها التقدم في العلاج وأيضا، بإجماع الأخوات، تلك الإبتسامة التي تتجلى في نظرة الطفل وكذا والديه.. "نحن نعتمد على فضل الإله ونستعمل هذه الأيادي التي منحها لنا لإعطاء نصيبنا"، كما ختمت الأخت برناديت من تيميمون.

س. ك.